جائزة القمني
بين الحرية والإبداع والكفر والردة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد..

فقد أثار منح المدعو د. سيد القمني، جائزة الدولة التقديرية ردودَ أفعال كثيرة، فالرجل يشتكي إذا رأى فردًا من طاقم الحراسة يصلي، ويتوتر وتأخذه العصبية لقراءة القرآن، ووصل سفهه وبغضه لدين الله لدرجة أنه اعتبره اختراع سياسي للسيطرة على مكة وعلى العرب، وأن الفتوحات والغزوات بمثابة اغتصاب.

لقد سلك القمني نفس مسلك تسليمة نسرين، وصاحب «وليمة أعشاب البحر»، ونصر أبو زيد، ومحمد صبحي منصور، وسلمان رشدي صاحب «آيات شيطانية»، ونجيب محفوظ صاحب «أولاد حارتنا».

وهذا المسلك دعا دار الإفتاء، وجبهة علماء الأزهر والجماعات الإسلامية وعلى من عنده غيرة على إسلامه لأن ينتفض ويستنكر ما يحدث.

فكيف تعلى الدولة ووزارة الثقافة شأن من يهاجم الإسلام بهذه الجرأة وهذه الوقاحة، وكيف تُدفع أموال المسلمين لمن يستهزئ أو يستخف بشعائرهم وشرائعهم؟!

وصف البعضُ القمني بأنه كافر مرتد وأن كتبه ومقالاته كفر وردة تستحق التجريم لا التكريم، طعن البعض في الدكتوراه التي يحملها وطالب بإظهارها؛ لأنها شرط في الحصول على الجائزة واستنكف بعض المثقفين والعلمانيين أن تُعطى الجائزة لرجل ليس له مستوى فكري أو ثقافي، وقالوا: كيف يتساوى مع القمم التي حصلت على الجائزة التقديرية من وجهة نظره.

ومع تصاعد الهجمة، ذكرت وزارة الثقافة أن لجنة الفحص الفني هي التي أقرت الكتاب، كما هي العادة في التنصل، وإلقاء التبعة والمسئولية على الصغار، وبحيث تهون القضية في النهاية.

ونشر موقع صحيفة «المصريون» على لسان رئيس تحريره الكاتب محمود سلطان، الذي قال في مقاله الافتتاحي:

«إن أحد الحاصلين على الجائزة هذا العام قال للموقع: إنه يشعر بالإهانة لوجود اسم القمني معه في كشف الفائزين، فعاتب مسئولين بالمجلس الأعلى للثقافة على تكريمهم لكاتب على تزويره وخيانته للتاريخ والاستقامة العلمية في البحث، فجاءه الرد صادمًا: نعلم أنه كذلك، وأنه سب الدين فعلًا، لكنه هو الشخصية المناسبة التي اخترناها نكاية في التيار الإسلامي».

لقد ابتهج البعض بجائزة القمني، ورآها تعبيرًا عن تقدير الحرية والإبداع، وسلك مسلك الحياد المصطنع، والاعتدال المبتذل؛ حتى لا يوصف بالتطرف الديني أو العلماني، وكأنه مع انحرافه يصلح لأن يمسك الميزان، واستصرخ القمني بدوره أحرار العالم أن ينقذوه من الإرهابيين والمتطرفين.

هذه بعض الجوانب التي احتفت بجائزة القمني، ولمزيد من التوضيح نذكر ما يلي:

أولاً- تحرص الكثرة في التعليم والإعلام والثقافة على الظهور بصورة حامي حمى التنوير أمام الدوائر الغربية، ويرون أن ذلك هو سلم الوصول لنيل الدرجات والمناصب العليا، فلا ضير عندهم أن يبيعوا الدين بالدنيا، وأن يتفننوا في الصد عن سبيل الله، والتنفير عن طاعة الله، وقد رأوا كيف تُعطى «جائزة نوبل»، وأرفع وسام في انجلترا لمن يسب الدين، ويستهزئ بالإسلام وأهله، وكيف تضفى الهالات والألقاب على الساقطين والمنحرفين.وكان «فولتير» فيلسوف الثورة الفرنسية يقول: إن المناصب العليا كقمم الجبال لا يصل إليها الهوام والحشرات.

وقد كشف القمني كيف أن الدوائر الغربية وضعت عينها عليه منذ فترة، وقررت أن تتبناه وتلمعه وتنفخ في صورته.

والناظر في المجلس الأعلى للثقافة ورئاسته -كعينة مصغرة- يدرك مدى خيانة الأمانة، وكيف تساس الأمور

وكان عثمان ﷺ يقول: «إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن»؛ فإذا علا القبيلة فجارها وساد الناس منافقوهم، فحدث عن الخراب والدمار، ولا تتعجب لجائزة تقديرية تعطى لأمثال القمني.

ثانيًا- من تصريحات المؤرخ الدكتور قاسم عبده قاسم الذي مُنِح جائزة الدولة التقديرية هذا العام، والذي قال بالنص: «على مسئوليتي الشخصية القمني ليس حاصلًا على الدكتوراه، وأتحدى القمني ومن رشحوه ومن منحوه الجائزة أن يظهروا للناس شهادة الدكتوراه التي يزعمون أنه يحملها، هذا نموذج للتزوير في أفحش صوره».

يقول الدكتور قاسم: إنه التقى قبل سنوات بالقمني، وسأله عن موضوع الدكتوراه التي يزعمون أنه يحملها، ومن أشرف على رسالته، ومن ناقشوه فيها، فتهرب منه القمني، وظهر بعدها يروج أنه حصل على الدكتوراه بالمراسلة من جامعة أجنبية.

يقول الدكتور قاسم: «ما ينشره القمني عن التاريخ الإسلامي أو التاريخ القديم لا يمت بصلة للعلم ولا للمنهج ولا للأمانة، مجرد زيف وتهريج».

ثم يختم الدكتور قاسم تصريحاته الخطيرة بقوله:

«هناك جهات متطرفة في وزارة الثقافة لها مواقف شديدة من التيار الإسلامي رأت منح الجائزة للقمني نكاية في التيار الإسلامي دون أن يتحسبوا لردود الفعل، ودون أن يستشعروا بعظم المسؤولية التي حملتهم الدولة إياها، وأن منح الجوائز الرفيعة باسم الدولة ينبغي أن يتنزه عن مثل هذه التوجهات غير العلمية»، مؤكدًا أن أتيليه القاهرة

الذي تم منح الجائزة للقمني من خلال ترشيحه تحول إلى ثقب خطير في تمرير بعض الجوائز المثيرة للجدل رغم أنه غير مؤهل لذلك، ولذلك لا يصح أن يكون جهة ترشيح للجوائز العلمية، كيف لجمعية أهلية تتبع وزارة الشئون الاجتماعية أن يكون لها حق اختيار أو ترشيح من يحصلون على أرفع جوائز الدولة.

ونفى الدكتور قدري حفني، عضو لجنة الفحص لجائزة الدولة التقديرية أن تكون لجنة الفحص قد قامت بفحص أعمال المتقدمين للجائزة، مؤكدًا أن اللجنة عملها شكلي محض، وليس لها صلاحية لتقويم الأعمال، أو إبداء الرأي فيها، أو في أصحابها، أو حتى معرفة الطريقة التي تمت بها عملية الترشيح من الجهات المختلفة، كاشفًا معلومة خطيرة أن لجنة الفحص لمكونة من الدكتور قدير والدكتور مصطفى سويف، والدكتور مصطفى الفقي، كان من صلاحياتها سابقًا النظر في أوراق المرشحين وأعمالهم وتقييمها، إلا أن دعوى قضائية غامضة انتهت إلى سحب هذه الصلاحية من أعضاء اللجنة، وهو ما دفعهم إلى تقديم استقالاتهم ثم تراجعوا عنها في اللحظات الأخيرة حتى لا يتهموا بعرقلة أعمال اللجنة.

ثالثًا- الردة هي رجوع المسلم العاقل البالغ عن الإسلام إلى الكفر باختياره دون إكراه من أحد سواء في ذلك الذكور والإناث، فلا عبرة بارتداد المجنون، ولا الصبي؛ لأنهما غير مكلفين، ففي الحديث قال رسول الله ﷺ: «**رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلاَثٍ، عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ**» [رواه أحمد وأصحاب السنن، وحسنه الترمذي].

ويكفر العبد بإنكار ما علم من الدين بالضرورة، كإنكاره أن القرآن وحي من الله، وإنكار البعث والجزاء وفرضية الصلاة.

وكذلك استباحة المحرم الذي أجمع المسلمون على تحريمه كاستباحة الخمر والزنا والربا، وتحريم ما أجمع المسلمون على حِله، وكذا سب النبي ﷺ أو الاستهزاء به، وسب الدين، والطعن في الكتاب والسنة.

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه : «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»، وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنِّى رَسُولُ اللهِ إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلاَثٍ الثَّيِّبُ الزَّانِي وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ**» [متفق عليه]، وثبت أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قاتل المرتدين من العرب حتى رجعوا إلى الإسلام.

ولم يختلف أحد من العلماء في وجوب قتل المرتد، يفعل ذلك الحاكم المسلم أو من ينيبه، وقد ذكرنا أن الحكومات تعلق المشانق لمن خرج على دستورها الوضعي، فكيف بمن خرج يبارز الله بالحرب، والخلافة موضوعة لإقامة الدين وسياسة الدنيا به.

كنا نتمنى من القمني أن يتوب إلى الله، ويعاود الرجوع لدين الله، بدلًا من تماديه في الكفر والضلال واستعدائه لأحرار العالم ممن هم على شاكلته، وجرأته واتهامه لكل من خالفه بالإرهاب والتطرف،وهي التهم المبتذلة واللبانة الممجوجة، والتي قد تُقْبَل على فلان وعلان، ولكن من يستسيغها على جبهة علماء الأزهر، ودار الإفتاء، والدكتور نصر فريد واصل؟! بل وانضاف إليهم جماعة من المثقفين والعلمانيين لفرط فجاجة القمني.

رابعًا- إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعًا فإنه غني عنكم، ولا يرضى لعباده الكفر، فالإسلام لا يضيره كفر وردة القمني، والحق أبلج والباطل لجلج، ومن عمل صالحًا فلنفسه، ومن أساء فعليها.

وقد نتألم ونحزن لوجود من انتكست عقولهم وارتكست فطرهم، وخالفوا شريعة ربهم، وهو -سبحانه- أحق أن يطاع فلا يُعصى، وأن يُشكر فلا يُكفر، وأن يُذكر فلا يُنسى.

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه الواحد

نتخوف على من يتواطأ ويتولى الكفرة والفجرة في الداخل والخارج، ويبيع دينه بدنيا غيره، ونتعجب لسفه الباطل ومشابهة بعضه لبعض قديمًا وحديثًا، وكأن الصور والمشاهد تتكرر أمام أعيننا، ويكفي أن نسترجع معاني التاريخ، ونتذكر الآيات البينات ﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ [يس: ٣٠]، ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ٢٨ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ٢٩ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ [يس: ٢٨ - ٢٩]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١]، ﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [هود: ١١٣]، ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴾ [الحج: ٣١] ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤١].

لقد فتحت جريدة المصري اليوم صفحاتها للقمني يبث من خلالها سمومه بزعم عدم حجب الآراء أو الحجر على الحرية والإبداع، وهذا هو الدين الجديد الذي يتبناه القمني وجريدة المصري اليوم وغيرهم، ويعتبرونه قمة الحياد والموضوعية والنزاهة!!

ومثلهم في ذلك كمثل الناشر الحيادي لآراء مسيلمة الكذاب والأسود العنسي وطليحة الأسدي وسجاح وأبي جهل وأبي لهب، ولا مانع عنده أيضًا من نشر دعوة النبي ﷺ، وهذا في أحسن أحوال هذا الناشر الذي يزعم الموضوعية والنزاهة، وأنه لا يحابي رأيًا ولا عقيدة، ويترك القارئ يأخذ من الآراء ما يشاء!!!

فصار القارئ هو الميزان والضابط والمقياس، وصارت دعوة الإسلام كاليهودية والبوذية والوجودية بمقتضى هذه الليبرالية الديمقراطية!!

لا يسعنا في مواجهة هذا الانحلال وهذا العبث إلا أن نردد قول ربنا ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾ [يونس: ٣٢] ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [القلم: ٣٥]، ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٢٢ - ١٢٣]، ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

خامسًا- جائزة القمني أشبه بانقلاب السحر على الساحر، فالباطل سراب والتواطؤ عليه خيبة وضياع، وتدبير الكافر تدميره، وكيده دائمًا يرتد إلى نحره، ولا طاقة لأحد بحرب الله، والرب -جل وعلا- لا يُغَشّ ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الرعد: ١٧]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس: ٨١]، و لا يُضيعُ أجر المحسنين، والعاقبة للمتقين.

وها هو طوفان التدين يشتد عوده ويقوى ساعده، وفي المقابل فوضوح الباطل قد يساعد على نوع من التمايز، وهذا بلا ريب أنفع للمسلمين، فالكافر أخف ضررًا من المنافق كما هو معلوم، وقال تعالى: ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفتح: ٢٥]، أي لو تميزوا.

نحن نستبشر الخير بما يحدث، فكل المشاهد تؤكد أن المستقبل للإسلام بغلبته وظهوره، ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ﴾.

والله غالب على أمره ومتم نوره ولو كره الكافرون.

وآخِرُ دَعْوانا أنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمِين

منع الاحتفال بمولد السيدة زينب
بسبب أنفلونزا الخنازير

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد..

فقد أصدر محافظ القاهرة قرارًا بمنع الاحتفال بمولد السيدة زينب، وذلك لأن التجمعات الكبيرة التي تحدث في الموالد يُخشى منها أن تكون سببًا في نشر أنفلونزا الخنازير، وكان وزير الصحة قد رفع توصيات بشأن إلغاء الاحتفال بالموالد هذا العام، كمولد الحسين، والسيد البدوي، وإبراهيم الدسوقي، وأبي العباس المرسي؛ وذلك بناءً على توصيات اللجان الصحية المختصة.

ولنا مع هذا الخبر عدة وقفات:

أولاً- التناقض العملي السلوكي اللافت للنظر هنا وهناك، فالمباريات ودور السينما والمسرح، وأماكن التسوق، وحمامات السباحة، والأندية يرتادها أعداد غفيرة، وتكتظ بالجماهير في أماكن مغلقة ومفتوحة، ولم يتم منعها ولا التحذير منها.

مما يفتح الأبواب للتساؤلات والاتهامات: لماذا يمنع هذا ولا يمنع ذلك؟! وهل هذه الصورة تكتنفها المخاطر الصحية، والأخرى سالمة عن المعارضة؟!

مع أن الواقع يشهد أن هذه كتلك سواء بسواء، والشرع لا يفرق بين المتساويين ولا يساوي بين المختلفين.

فإذا أضفنا حالة البلدان الموبوءة كإنجلترا وأمريكا، ففي إنجلترا وحدها ٦٥ ألف حالة أنفلونزا خنازير، بينما كان عدد الإصابات عندنا لا يتجاوز المائة، ورغم ذلك فلا يكاد أحد يشعر بوجود الوباء في إنجلترا، ولا بإجراءات احترازية في المطارات أو منع مباريات دولية أو أمر بارتداء الكمامات، فكل ذلك لا وجود له.

وتزداد المسألة غرابة عندما يكثر الكلام على منع الحج والعمرة؛ مما قد يترتب عليه نوع من الإرجاف والتخذيل فيما يتعلق بهذه الفريضة بينما لا تجد شبيهًا لهذا المسلك مع رواد الفن والرياضة. فهل لا خوفَ على هؤلاء من أنفلونزا الخنازير؟

ثانيًا- الاحتفالات بالموالد من البدع المحدثة في الدين، وقد انقضت خير القرون دون احتفال بمولد النبي ﷺ، فضلًا عن غيره، وقد ظهرت الموالد في الدولة الفاطمية التي أقامها العبيديون، وكان ظاهرهم الرفض، وباطنهم الكفر المحض. هدموا الشرائع والشعائر، واكتفوا بإقامة الموالد وما شابه ذلك، وغير ذلك من أمور ازدادت بها الأمة بعدًا عن دين ربها.

فقد قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**» [رواه مسلم]، فالاحتفالات التي ظهرت ليست من أمر النبي ﷺ، وهو مما أحدثه الناس في دينه في القرون المتأخرة، فيكون مردودًا.

وكان عليه الصلاة والسلام يقول في خطبته يوم الجمعة: «**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ وَخَيْرَ الْهُدَي هُدي مُحَمَّدٍ وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ**» [رواه مسلم]، وأخرجه النسائي بإسناد جيد وزاد: «**وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ**».

واحتفالاتنا وأعيادنا توقيفية تؤخذ دون زيادة ودون نقصان، وهي معدودة من جملة العبادات. متى احتفل الصحابة بمولد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم حتى نجيز الاحتفال بمولد السيد البدوي وأبي العباس المرسي وإبراهيم الدسوقي؟!

إن القوم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفُّوا، فاتبِعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، وكل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة.

ثالثًا- كنا نتمنى أن يكون إلغاء الموالد لكونها بدعة في الدين، قبل أن تكون إجراءً وقائيًا صحيًا، نتفق عليه أو نختلف عليه، فالقول والفعل والإقدام والإحجام يجب أن يكون خالصًا لوجه الله تعالى، وهذا بلا ريب يحقق مصلحة البلاد والعباد في العاجل والآجل.

والحمد لله الذي أحل لنا الطيبات، وحرم علينا الخبائث ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، ووضح لنا نبينا -صلوات الله وسلامه عليه- كيفية التعامل مع الخنزير والطاعون، ولا حرج عندنا في التزام الإجراءات الصحية والطبية التي لا تصطدم بالكتاب والسنة.

ولكن يبقى السؤال هل ستعود للاحتفال بالموالد بعد زوال خطر الوباء؟!

إن الاحتفال بالموالد غير مشروع سواءٌ وُجد الطاعون أو لم يوجد، ولا يجوز التكريس لهذه الموالد ولا المشاركة فيها.

لا نغالي لو قلنا هي بلاء وشر يفوق خطر أنفلونزا الخنازير؛ وذلك لما يحدث فيها من شركيات وبدع وضلالات، فتجد من يصرف العبادة لغير الله. ومن يستغيث بالسيد البدوي ويحلف بالحسين، ويذبح للسيدة زينب، ويتمرغ على أعتاب إبراهيم الدسوقي، ويطوف سبعًا بأبي العباس المرسي، ومن يطلب الولد من السيدة نفيسة.

قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

قال رسول الله ﷺ: «**فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**» [رواه البخاري ومسلم].

الموالد لا تخلو من اختلاط الرجال بالنساء، وتعاطي الدخان والمخدرات، وشد الرحال لغير الثلاثة مساجد، وصرف العبادة للمقبورين بزعم محبة الأولياء والصالحين، وقد يترك الرواد الصلاة.

والمسجد المبني على قبر لا يُصلى فيه فرضًا ولا نفلًا؛ وذلك لأنه مبني على معصية الله، ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

وقد وردت نصوصٌ تحذر من بناء المسجد على قبر، والصلاة إلى قبر، والصلاة على قبر؛ وذلك سدًا لذرائع الشرك والعصيان، فكل ما أدى إلى الحرام فهو حرام.

ولا يجتمع في دين الإسلام مسجد وقبر، هذا يقول: يا رب، والثاني يقول: مدد يا أبا العباس. هذا يستغيث بالله، والثاني يستغيث بالحسين. وإذ لم تزل المنكر فزُل أنت عنه.

وفي مرض النبي ﷺ كان كلما يفيق يقول: «**لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا**» [رواه البخاري ومسلم]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**أَلاَ وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ أَلاَ فَلاَ تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**» [رواه مسلم].

وقال ﷺ: «**لاَ تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا**»[رواه أبو داود، وصححه الألباني]، ولما ذكرت له أم سلمة وأم حبيبة كنيسة بالحبشة وما فيها من تصاوير، قال لهما النبي ﷺ: «**إِنَّ أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، فَأُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» [رواه البخاري].

رابعًا- لم يحتفل النبي ﷺ ولا الصحابة الكرام بمولده الشريف -صلوات الله وسلامه عليه-، وزَعْمُ البعضِ أنه ﷺ كان يصوم يوم الإثنين احتفالًا بمولده، يجاب عليه أن الصيام كان في كل أسبوع، ولم يكن يومًا في العام، يُخصُّ بإقامة السرادقات والإنشاد والمديح، ويتوسع فيه في اللحم والحلوى، ويُسن صيام الإثنين والخميس والثلاثة الأيام البيض من كل شهر عربي، والإكثار من الصيام في شعبان.

فلم يقتصر الصيام على يوم الاثنين، ولا بأس إن كان الصيام احتفالًا أن تصوم يوم الاثنين دون استحداث لشيء زائد.

وأعظم تقدير يكمن في متابعة السنن وإشاعة هديه الشريف صلوات الله وسلامه عليه.

وقد دُفن ﷺ في حجرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وكانت ملاصقة للمسجد، ثم أدخلت برمتها داخل المسجد، وذلك في عهد الوليد بن عبد الملك.

تقول لجنة الفتوى بالسعودية، وقد احتاطوا فبنوا جدارًا من وراء جدار بحيث لا يستطيع أحد استقبال القبر، يُضاف إلى ذلك أن مسجد النبي ﷺ لا يُقاس على مسجد السيد البدوي ولا غيره؛ وذلك لخصوصيته؛ لأن الصلاة فيه بألف صلاة فيما سواه، وما مُنِع سدًا للذريعة أبيح للمصلحة الراجحة، فلا يمكن منع أحد من الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ.

وقد سئل الإمام أحمد عن الصلاة في مسجد بجواره مقبرة، فقال: إن كان للمسجد جدار، وللمقبرة جدار، وهناك جدار يفصل بينهما صحت الصلاة.

ويرى الشيخ الألباني رحمه الله أن التبعة والعهدة تقع على الوليد بن عبد الملك ولا يجوز منع أحد من الصلاة في مسجد النبي ﷺ وذلك لخصوصيته.

خامسًا- لا يجوز استدعاء البلاء بالشركيات والبدع والضلالات، وفي الخبر: قال رسول الله ﷺ: «**لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلاَفِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا**» [رواه ابن ماجه، وحسنه الألباني]، وما نزل بلاء إلا بذنب وما رفع إلا بتوبة.

والطاعون شهادة، وإذا نزل بأرض فلا تدخلوها، وإذا كنتم فيها فلا تخرجوا منها. الحيطة تجاه أنفلونزا الخنازير مطلوبة، والأخذ بأسباب الوقاية منها وعلاجها مشروعة، ولا يتعارض هذا مع الانتهاء عن الشركيات والانحرافات.

فلا بد من الجمع بين المصالح وشمولية النظرة، نحافظ على صحة البدن، وصحة القلوب والأرواح، فإذا حدثت المعارضة، فتقديم الأهم على المهم أمر واجب في العلم والعمل والدعوة إلى الله تعالى، والتوحيد أولًا، لو كانوا يعلمون.

انشدوا السلامة والعافية في الدنيا والآخرة، وذلك بالاستقامة على شرع الله، والرجوع لمثل ما كان عليه النبي ﷺ وصحابته الكرام، ولا ترقعوا دنياكم بتمزيق آخرتكم، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة:٧٧].

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين

هل يزيد الحمل على تسعة أشهر؟
الحمل المستكن

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه،

أما بعد. . فبنفس الطريقة التي درجت عليها جريدة المصري اليوم، وبنفس أسلوب الاستخفاف والسخرية بكثير من القضايا الشرعية، والذي دأب عليه معظم كُتَّاب الجريدة، جاء بعدد يوم السبت ١١رجب١٤٣٠هـ، وتحت عنوان «الحمل المستكن» ما يلي:

«في مؤتمر طبي بإحدى كليات الطب الخاصة وقف أستاذ طالبًا الكلمة وقال: «لماذا لا نناقش في المؤتمر الحمل المستكن؟!»، ولما سأله الحاضرون عما يقصده بالحمل المستكن، رد قائلًا: أقصد الحمل الذي يظل عامًا وعامين وثلاثة وأربعة!!، اندهش الحاضرون أساتذة وطلبة وتساءلوا: هو فيه حمل بيقعد ثلاث أو أربع سنين!!، رد الأستاذ واثقًا وساخرًا من جهل زملائه: طبعًا..إذا كان الإمام مالك ظل في بطن أمه ثلاث سنوات.

خطورة هذا الرأي أنه قد صدر عن أستاذ طبيب، المفروض أنه قد تعلم المنهج العلمي في التفكير، والمفروض أن مرجعه في الطب هو المراجع والمجلات العلمية، وفى قضية طبية مثل معلومة أقصى مدة للحمل لابد أن يعود إلى ما تعلمه وقرأه في هذه المراجع وليس إلى ما قرأه في كتب الفقه، ولكن هذا الأستاذ للأسف لا يعبر عن نفسه ولكنه صار يمثل ظاهرة تغلب النقل على العقل، ويلخص تيارًا مستعدًا للتضحية بكل ما تعلمه من طب في سبيل تغليب نص فقهي أو الانتصار لفتوى تراثية، بدليل أن هذا الأستاذ ليس الوحيد الذي ينتصر لمثل هذه الآراء ولك أن تعلم أن من يتزعم تيار دعم وتأييد ختان الإناث -لدرجة أنه قد اختصم وزير الصحة أمام المحاكم- يعمل أستاذًا للنساء والتوليد!!.

بعض الفقهاء مثل الحنفية يرون أن أقصى مدة للحمل قد تطول إلى سنتين، والمالكية والشافعية أربع سنوات، والبعض يرى أنها خمس سنوات، والبعض مدها إلى أكثر من ذلك!!،

وهو كلام نقبله كنوع من الفولكلور، ولا نقبله على الإطلاق كنوع من العلم أو الحقيقة، ومن الممكن تبريره كما سنرى لاحقًا نتيجة سوء فهم لبعض الظواهر آنذاك مثل انقطاع الحيض والتي لم يستطع القدماء تفسيرها إلا بأنه حمل مؤكد فحدث الالتباس.

أما أن يفرض كائن من كان على تفكيري وعقلي أن أقبل هذه الخزعبلات تحت مسمى تطبيق الشريعة، فهذا ما أرفضه أولًا للإسلام دين العقل بأن تلصق به هذه الأفكار التي تنتمي للقرون الوسطى.

وثانيًا أرفضه بالنسبة لعقلي الذي يفرض عليه أن يقبلها لمجرد أن المفتى قد ذكرها في كتابه أو لأن الأزهر يدرسها في منهجه!، فكيف أقبل علميًا ما لم يشاهده طبيب نساء وولادة واحد منذ اختراع علم طب النساء والتوليد، وما لم يسجله جهاز سونار واحد حتى في بلاد واق الواق؟!!

وكيف أقبل أخلاقيًا أن أسمح بطوق نجاة فقهي لامرأة من الممكن أن تمارس الفاحشة بعد وفاة زوجها ثم تنسب طفل الخطيئة للأب المتوفى احتماء بمظلة الحمل المستكن، أو تسترًا وراء فتوى فلان أو مذهب علان، كما حدث في ١٩ جمادى الآخرة عام ١٣٤٦ هجرية في المحكمة الشرعية في مكة، عندما حكم القاضي مصطفى عبد القادر العلوي بإلحاق نسب طفل ولدته أمه بعد موت زوجها بخمس سنين!!.

ولكن السؤال المهم هل ظل مفهوم الحمل المستكن سجين كتب الفقه لا يطبق إلا في الدولة الدينية أم تسلل إلى قوانين الدولة المدنية المذعورة من شعارات جماعات ضغط الإسلام السياسي؟ هل نحن دولة تحترم العقل والتفكير أم تقدس النقل والتكفير؟، هذا هو سؤال الإثنين المقبل».

ولنا على هذا المقال عدة تعليقات:

أولاً- يعلم الكاتب الصحفي وطلبة الطب قبل الأساتذة أن المراجع والمجلات العلمية الطبية، تشتمل على أخطاء وجهالات واختلافات في التحاليل والتعاليل، ومعرفة أسباب الأمراض وطرق العلاج.

فليست كل المسائل الطبية الموجودة في المراجع العلمية مسلمات وحقائق يقينية، حتى يعتبرها الكاتب هي المنهج العلمي في التفكير، ولا أحتاج للتذكير ببعض الأمثلة كالسرطان والروماتيزم، فضلًا عن الإيدز والصرع. وها هي البشرية تقف عاجزة مؤخرًا أمام أنفلونزا الخنازير، ولم نقل بإغلاق كلية الطب، ولا منعنا من التداوي؛ فالطب والعلوم النافعة كالهندسة والزراعة والصناعة تؤخذ من كل من أفلح فيها، أما علوم الهداية فلا تؤخذ إلا من الكتاب والسنة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩]، أي للتي هي أسدّ وأعدل في كل ناحية من نواحي الحياة.

وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠]، والقوة مطلوبة في كل صورها، فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، وفي الحديث: «**إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ**» [رواه أحمد، وصححه الألباني]

وقد أمرت النصوص بالتداوي والتطبب، وقال النبي ﷺ: «**إن الله تعالى خلق الداء والدواء، فتداووا، ولا تتداووا بحرام**» [صححه الألباني في صحيح الجامع] «**مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً إِلاَّ قَدْ أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ**» [رواه أحمد، وصححه الألباني بشواهده]، وبينت الشريعة أن من تطبب بغير طب فهو ضامن.

ومع تسليمنا بصحة الكثير من المعلومات الطبية قد لا نعدم خطأ الممارسة والتطبيق من طبيب نسي الفوطة في بطن المريضة، مما لا يستدعي التشهير بمجموع الأطباء، ولا منع ممارسة مهنة الطب.

ثانيًا- لا معارضة بين عقل صريح ونص صحيح، فإذا وجدت المعارضة فإما أن يكون العقل غير صريح، وإما أن يكون النص غير صحيح، فهناك تطابق بين الكتاب المنظور والكتاب المسطور.

وقد حثنا الإسلام على التدبر والتأمل في ملكوت السموات والأرض والأخذ بالأسباب، وختمت آيات كثيرة بقوله تعالى: ﴿لأُولِي الأَلْبَابِ﴾، ﴿أَفَلا يَتَفَكَّرونَ﴾، ﴿أفلا يَتَدبَّرون﴾، ﴿أَفَلا يَعْلَمُونَ﴾، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩].

والحقائق العلمية اليقينية لا يمكن أن تجد ما يخالفها في الكتاب والسنة، ولكن قد يتهور البعض ويطوع النصوص لموافقة نظريات ومسائل لم تثبت عند أهلها ولا ننسى أن القرآن كتاب هداية، والإشارات العلمية الموجودة سيقت أيضا مساق الهداية، وما من يوم يمر إلا ويسمع عن مؤتمر للإعجاز الطبي أو العلمي أو الفلكي أو التشريعي.

نريد إقامة حضارة على منهاج النبوة، والتطور والتقدم عندنا لا يتنافى ولا يتعارض مع إقامة واجب العبودية. وتعمير الدنيا وإقامة فروض الكفاية الطبية وغيرها يتحقق مع تمسكنا بالأخلاق الإيمانية.

فليس في الدين ما يدعو للخرافات ولا الخزعبلات، وليس عندنا -بحمد الله- ما نتوارى به خجلًا في مواجهة التطور العلمي والطبي، بل على العكس، فالمكتشفات والمخترعات العصرية تزيدنا إيمانًا ويقينًا بعظمة هذا الدين ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]

ثالثًا- المهج العلمي في الطب وغيره يكون برد المسائل إلى عالمها، فلكل علم عالم، قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

ولا يخفى على أحد أن البشر يجهلون أكثر مما يعلمون، وما زالت البشرية أشبه بصبيان يلعبون بشاطئ البحر، وهم يجهلون أعماقه؛ فالجهالة واضحة رغم ادعاءات التطور والتحضر والتقدم، قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[يونس: ٢٤]، وما علمنا ولا علم البشر إلا كما يضع الطائر فمه في البحر فبماذا يرجع؟ فالله يعلم وأنتم لا تعلمون، وهو - سبحانه- علام الغيوب، خالق الأرض والسماء، يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأحاط بكل شيء علمًا، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء.

لا معارضة عندنا بين السنن الشرعية والسنن الكونية، ولا بين الأرض والسماء، والدنيا والآخرة، فإذا وجدت المنازعة بيننا وبين بعضنا البعض وجب أن نرد حكم ما تنازعنا فيه إلى الكتاب والسنة، قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]. ويدخل في ذلك مدة الحمل، وهل من الممكن أن يزيد على تسعة أشهر م لا؟ كما سنوضح ونبين بإذن الله تعالى.

رابعًا- لا نقبل التخييل على ضعاف البصر والبصيرة باستحالة عودة الحياة لدين الله،وتوهم التنافر بين العلم والدين، أو بين الدين والدولة، فالطبيب لا ينسى إسلامه ودينه، ورجوعه للمراجع العلمية الطبية الأجنبية لا يتعارض مع الدعوات الصالحة والرقى النافعة.

وطب النساء والتوليد والسونار لا يجوز أن يتعارض مع الطب النبوي، والحقنة والقرص، وجهاز الضغط والسماعة لا تتنافى مع تعاطي عسل النحل والحبة السوداء والحجامة والشرب من ماء زمزم.

آن للوثة المادية التي أنستنا ربنا وديننا أن تنتهي؛ فقد المداوي والمُداوىَ، ومازال الفشل الطبي واضحًا وباديًا.

ونحن قوم لسان حالنا ومقالنا ينطق ويقول: آمنت بالله وكذبت عيني. فالمعاني الإيمانية سالمة عن كل معارضة على رغم أنف المخالفين.

ولا ينسى الكاتب الصحفي -وهو مسلم- أنه يخاطب أمة مسلمة يعتز أساتذتها وطلابها بدينهم، تهتز الجبال ولا تهتز معاني الإيمان في نفوسهم، لا يقبلون ما في المراجع العلمية الطبية من مخالفات لدينهم.

فالأجانب الذين وضعوا المراجع الطبية لا حرج عندهم في التداوي بالخمر والمخدرات وشحوم الخنزير. وبعض من تابعهم من الأطباء لا يأبه بتعرية المرأة والانفراد بها في حجرة الكشف.

والهزيمة النفسية جعلتنا نبجل كل ما هو غربي ووافد ومستورد، بل حتى لم نستطع تعريب الطب حتى يومنا هذا.

وعلى الكاتب الصحفي أن يفسح صدره لقدر من المراجعة أو حتى التوجس تجاه بعض ما هو موجود في المراجع العلمية الطبية، ولا داعي للتهكم والسخرية من الأستاذ الدكتور إذا تكلم عن الحمل المستكن.

خامسًا- العقل دابة توصلك لقصر السلطان ولا تدخل بها عليه، والعقل مُتَوَلٍّ، ولَّى رسول الله ﷺ ثم عزل نفسه، وإذا ورد شرع الله بطل نهر معقل، فهل من يعقل؟

ومسألة العقل والنقل مسألة قديمة، وما أكثر دعاة العقلانية في عالمنا المعاصر، وقد كان من منهج سلفنا الصالح تقديم النقل على العقل، وهذا هو الذي وردت به نصوص الشريعة.

فالعقول متفاوتة، والمجنون قد يدعي العقل، بل وقد يتهم الآخرين. ومع التحاكم للأهواء والآراء والبيئات والعقول والنشأة والعادات فلا يمكن أن تنحسم مسألة أو قضية، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]،

وقال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وقال- سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وقال تبارك وتعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، فرد الحكم لله رد لكتابه، والرد لرسول الله ﷺ رد لسنته الشريفة، ولم تقل الآية فردوه إلى العقول والبيئات أو الآراء.

والكاتب الصحفي قد تهور جدًّا عندما انتقل من الاستخفاف بالأستاذ الدكتور إلى ما يذكره المفتي في كتابه، والأزهر في منهجه، والإمام مالك في اجتهاده، ويعبر باستخفاف وهو يقول: «هو كلام نقبله كنوع من الفولكلور...»، ويقول: «...لابد أن يعود إلى ما تعلمه وقرأه في هذه المراجع (أي المراجع العلمية الطبية) وليس إلى ما قرأه في كتب الفقه»، ويتأسف بقوله: «ولكن هذا الأستاذ للأسف لا يعبر عن نفسه، ولكنه صار يمثل ظاهرة تغلب النقل على العقل، ويلخص تيارًا مستعدًا للتضحية بكل ما تعلمه من طب في سبيل تغليب نص فقهي أو الانتصار لفتوى تراثية».

ثم أخذ يستعدي ويتهم مخالفيه مستخدمًا أسلوب الإرهاب الفكري، فقال: «هل نحن دولة تحترم العقل والتفكير أم تقدس النقل والتكفير؟».

هذه صورة من صور الخلاف المنهجي، وما يسمى بالصراع العقائدي الأيديولوجي، وطريقة العرض التي تتبناها جريدة المصري اليوم، وكأن كل كُتَّابها وصحفييها، قد اتفقوا وأجمعوا على هذه الطريقة في طرح الدين ونبذه، فلا يقبلون من الدين إلا ما يوافق أهواءهم وآراءهم.

وقد يتوهم البعض أن لهم أرضية وشعبية، ويكفي في دفع هذا التوهم أن ننزل إلى الشارع وتنظر للحساب على الأرض لتدرك أن طوفان التدين آخذ في الاتساع ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ

فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [الرَّعْد : ١٧]، وإن الله لا يصلح عمل المفسدين.

البشائر كثيرة وعديدة، يبتهج لها أولياء الله، ويغتاظ منها العلمانيون والملاحدة والزنادقة. ولا ريب أن إغاظتهم طاعة وعبودية لله تعالى.

إن سنن التدافع ماضية في الخلق ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ [البَقَرَة : ٢٥١]، تدافع بين الإيمان والكفر، والحق والباطل، والسنة والبدعة.

ومن عجيب أمر الديمقراطيين والليبراليين أنهم يخالفون إسلامهم ودينهم، ويتهكمون على الشرائع والشعائر، وينابذون الأكثرية المتدينة العداءَ، ثم بعد ذلك يقولون: الرأي والحكم للأكثرية، ولابد من احترام رأي الأكثرية!! وربما وصفوا الأكثرية المتدينة بأنهم غوغاء ورعاع!!

سادسًا- معظم المواليد يولدون لتسعة أشهر، والأطباء يزيدون وينقصون أسبوعين ويتوسعون أحيانًا لخطأ في الحساب، وقد يولد المولود لستة أو سبعة أشهر أو ثمانية أشهر، وما زاد على حساب الأطباء وعلى التسعة أشهر يأتي على جهة الندرة، وهو واقع يثبته الخلق، ولا يجوز اتهام المرأة بالزنا إن هي جاءت بالولد بعد تسعة أشهر، وذلك لعدم وجود الإقرار أو الشهود، والحدود تدرأ بالشبهات، والتهمة تتطلب بينة أوضح من شمس النهار.

والكاتب الصحفي والطبيب الملحد يسمع بالولادة بعد الشهر التاسع بيوم ويومين وأسبوع وأسبوعين، ولا أظنه يخالف فيما لو تم الوضع بعد ثلاثة أسابيع أو شهر أو ما يزيد على ذلك.

سابعًا- المنهج العلمي الذي يطالب به الكاتب يوضحه ما قاله العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾ [الرَّعْد : ٩]، قال القرطبي: «واختلف

العلماء في تأويل قوله: ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ [الرعد: ٨]، فقال قتادة: المعنى ما تسقط قبل التسعة الأشهر، وما تزداد فوق التسعة، وكذلك قال ابن عباس.

وقال مجاهد: إذا حاضت المرأة في حملها كان ذلك نقصانا في ولدها، فإن زادت على التسعة كان تماما لما نقص، وعنه: الغيض ما تنقصه الأرحامُ من الدم، والزيادة ما تزداد منه.

وقيل: الغيض والزيادة، يرجعان إلى الولد، كنقصان إصبع أو غيرها، وزيادة إصبع أو غيرها.

وقيل: الغيض انقطاع دم الحيض.

(وَمَا تَزْدَادُ) بدم النفاس بعد الوضع.

الثانية- في هذه الآية دليل على أن الحامل تحيض، وهو مذهب مالك والشافعي في أحد قوليه.

وقال عطاء والشعبي وغيرهما: لا تحيض، وبه قال أبو حنيفة، ودليله الآية.

قال ابن عباس في تأويلها: إنه حيض الحُبالى، وكذلك روي عن عكرمة ومجاهد، وهو قول عائشة رضي الله عنها، وأنها كانت تفتي النساء الحوامل إذا حضن أن يتركن الصلاة، والصحابة إذ ذاك متوافرون، ولم ينكر منهم أحد عليها، فصار كالإجماع، قاله ابن القصار.

وذكر أن رجلين تنازعا ولدا، فترافعا إلى عمر رضي الله عنه فعرضه على القافة، فألحقه القافة بهما، فعلاه عمر بالدرة، وسأل نسوة من قريش فقال: انظرن ما شأن هذا الولد؟ فقلن: إن الأول خلا بها وخلاها، فحاضت على الحمل، فظنت أن عدتها انقضت، فدخل بها الثاني، فانتعش الولد بماء الثاني، فقال عمر: الله أكبر! وألحقه بالأول، ولم يقل إن الحامل لا تحيض، ولا قال ذلك أحد من الصحابة، فدل أنه إجماع، والله أعلم.

احتج المخالف بأنْ قال: لو كان الحامل تحيض، وكان ما تراه المرأة من الدم حيضًا لما صح استبراء الأمة بحيض، وهو إجماع.

وروي عن مالك في كتاب محمد ما يقتضي أنه ليس بحيض.

الثالثة- في هذه الآية دليل على أن الحامل قد تضع حملها لأقل من تسعة أشهر وأكثر، وأجمع العلماء على أن أقل الحمل ستة أشهر، وأن عبد الملك بن مروان ولد لستة أشهر.

الرابعة- وهذه الستة الأشهر هي بالأهلة كسائر أشهر الشريعة، ولذلك قد روي في المذهب عن بعض أصحاب مالك، وأظنه في كتاب ابن حارث أنه إن نقص عن الأشهر الستة ثلاثة أيام فإن الولد يلحق لعلة نقص الأشهر وزيادتها، حكاه ابن عطية.

الخامسة- واختلف العلماء في أكثر الحمل، فروى ابن جريج عن جميلة بنت سعد عن عائشة رضي الله عنها قالت: يكون الحمل أكثر من سنتين قدر ما يتحول ظل المغزل، ذكره الدارقطني.

وقالت جميلة بنت سعد -أخت عبيد بن سعد، وعن الليث بن سعد-: إن أكثره ثلاث سنين.

وعن الشافعي أربع سنين، وروي عن مالك في إحدى روايتيه، والمشهور عنه خمس سنين، وروي عنه لا حد له، ولو زاد على العشرة الأعوام، وهي الرواية الثالثة عنه.

وعن الزهري ست وسبع.

قال أبو عمر: ومن الصحابة من يجعله إلى سبع، والشافعي: مدة الغاية منها أربع سنين.

والكوفيون يقولون: سنتان لا غير.

ومحمد بن عبد الحكم يقول: سنة لا أكثر.

وداود يقول: تسعة أشهر، لا يكون عنده حمل أكثر منها.

قال أبو عمر: وهذه مسألة لا أصل لها إلا الاجتهاد، والرد إلى ما عرف من أمر النساء، وبالله التوفيق.

روى الدارقطني عن الوليد بن مسلم قال: قلت لمالك بن أنس إني حدثت عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لا تزيد المرأة في حملها على سنتين قدر ظل المغزل، فقال: سبحان الله! من يقول هذا؟! هذه جارتنا امرأة محمد بن عجلان، تحمل وتضع في أربع سنين، امرأة صدق، وزوجها رجل صدق، حملت ثلاثة أبطن في اثنتي عشرة سنة، تحمل كل بطن أربع سنين.

وذكره عن المبارك ابن مجاهد قال: مشهور عندنا كانت امرأة محمد بن عجلان تحمل وتضع في أربع سنين، وكانت تسمى حاملة الفيل.

وروى أيضًا قال: بينما مالك بن دينار يومًا جالسًا إذ جاءه رجل فقال: يا أبا يحيى! ادع لامرأة حبلى منذ أربع سنين قد أصبحت في كرب شديد، فغضب مالك وأطبق المصحف ثم قال: ما يرى هؤلاء القوم إلا أنا أنبياء! ثم قرأ، ثم دعا، ثم قال: اللهم هذه المرأة إن كان في بطنها ريح فأخرجه عنها الساعة، وإن كان في بطنها جارية فأبدلها غلامًا، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت، وعندك أم الكتاب، ورفع مالك يده، ورفع الناس أيديهم، وجاء الرسول إلى الرجل فقال: أدرك امرأتك، فذهب الرجل، فما حط مالك يده حتى طلع الرجل من باب المسجد على رقبته غلام جعد قطط، ابن أربع سنين، قد استوت أسنانه، ما قطعت سراره.

وروي أيضًا أن رجلًا جاء إلى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين! إني غبت عن امرأتي سنتين فجئت وهي حبلى، فشاور عمر الناس في رجمها، فقال معاذ بن جبل: يا أمير المؤمنين، إن كان لك عليها سبيل فليس لك على ما في بطنها سبيل، فاتركها حتى تضع، فتركها، فوضعت غلامًا قد خرجت ثنيتاه، فعرف الرجل الشبه فقال: ابني وربِّ الكعبة!، فقال عمر: عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ، لولا معاذ لهلك عمر.

وقال الضحاك: وضعتني أمي وقد حملت بي في بطنها سنتين، فولدتني وقد خرجت سني.

ويذكر عن مالك أنه حُمل به في بطن أمه سنتين، وقيل: ثلاث سنين.

ويقال: إن محمد بن عجلان مكث في بطن أمه ثلاث سنين، فماتت به وهو يضطرب اضطرابا شديدا، فشُقَّ بطنُها وأُخْرِج وقد نبتت أسنانه.

وقال حماد بن سلمة: إنما سمي هرم بن حيان هرما لأنه بقي في بطن أمه أربع سنين.

وذكر الغزنوي أن الضحاك ولد لسنتين، وقد طلعت سنه فسمي ضحاكًا.

وقال عباد بن العوام: ولدت جارة لنا لأربع سنين غلامًا شعره إلى منكبيه، فمر به طير فقال: كش.

السادسة- قال ابن خويز منداد: أقل الحيض والنفاس وأكثره، وأقل الحمل وأكثره مأخوذ من طريق الاجتهاد، لأن علم ذلك استأثر الله به، فلا يجوز أن يحكم في شيء منه إلا بقدر ما أظهره لنا، ووجد ظاهرًا في النساء نادرًا أو معتادًا، ولما وجدنا امرأة قد حملت أربع سنين وخمس سنين حكمنا بذلك، والنفاس والحيض لَمَّا لم نجد فيه أمرًا مستقرًا رجعنا فيه إلى ما يوجد في النادر منهن.

السابعة- قال ابن العربي: نقل بعض المتساهلين من المالكيين أن أكثر الحمل تسعة أشهر، وهذا ما لم ينطق به قط إلا هالكي، وهم الطبائعيون الذين يزعمون أن مدبر الحمل في الرحم الكواكب السبعة، تأخذه شهرًا شهرًا، ويكون الشهر الرابع منها للشمس، ولذلك يتحرك ويضطرب، وإذا تكامل التداول في السبعة الأشهر بين الكواكب السبعة عاد في الشهر الثامن إلى زحل، فيبقله ببرده، فيا ليتني تمكنت من مناظرتهم أو مقاتلتهم! ما بال المرجع بعد تمام الدور يكون إلى زحل دون غيره؟ الله أخبركم بهذا أم على الله تفترون؟! وإذا جاز أن يعود إلى اثنين منها لم لا يجوز أن يعود التدبير إلى ثلاث أو أربع، أو يعود إلى جميعها مرتين أو ثلاثا؟! ما هذا التحكم بالظنون الباطلة على الأمور الباطنة!

الثامنة: قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨]، يعني من النقصان والزيادة.

ويقال: (بِمِقْدَارٍ) قدر خروج الولد من بطن أمه، وقدر مكثه في بطنها إلى خروجه.

وقال قتادة: في الرزق والأجل.

والمقدار القدر، وعموم الآية يتناول كل ذلك، والله سبحانه أعلم.

قلت: هذه الآية تمدح الله -سبحانه وتعالى- بها بأنه ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾[الرَّعْد: ٩]، أي هو عالم بما غاب عن الخلق، وبما شهدوه. فالغيب مصدر بمعنى الغائب، والشهادة مصدر بمعنى الشاهد.

فنبه -سبحانه- على انفراده بعلم الغيب، والإحاطة بالباطن الذي يخفى على الخلق، فلا يجوز أن يشاركه في ذلك أحد، فأما أهل الطب الذين يستدلون بالأمارات والعلامات فإن قطعوا بذلك فهو كفر، وإن قالوا إنها تجربة تُرِكُوا ومَا هُمْ عليه، ولم يقدح ذلك في الممدوح، فإن العادة يجوز انكسارها، والعلم لا يجوز تبدله.

و(الْكَبِيرُ) الذي كل شيء دونه. (الْمُتَعَالِ) عما يقول المشركون، المستعلي على كل شيء بقدرته وقهره».

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

كيف يكون اضطهاد مسلمي الصين شأنًا داخليًا

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد...

فقد أغلقت السلطات الصينية عددًا من المساجد الكبيرة في مدينة «أورومتشي» عاصمة منطقة «شينج يانج» التي تتمتع بالحكم الذاتي، ويقطنها طائفة «الإيجور» المسلمة، وأصدرت الحكومة أوامرها بحظر التجول، وهددت بالإعدام من يمارس أعمال الشغب.

قالت الحكومة: إنه لن يكون هناك صلاة؛ لأنها تخشى أن يستخدم السكان الديانة لدعم ثلاث قوى، في إشارة إلى التطرف والنزعة الانفصالية والإرهاب، التي تشكل -بحسب «بكين»- خطرًا على وحدة البلاد.

ودعا الرئيس الصيني إلى الاستقرار، وقال: إن مثيري أعمال الشغب التي جرت مؤخرًا يرتبطون بالنزعات الانفصالية والإرهاب الدولي.

وقد حث وزير الصناعة التركي الأتراك على مقاطعة البضائع الصينية؛ احتجاجًا على العنف العرقي في إقليم «شينج يانج».

وأسفرت الاحتجاجات والمواجهات بين أغلبية «الهان» وأقلية «الإيجور» في الإقليم الصيني عن مقتل ١٥٦ شخصًا، وإصابة ١٠٨٠ شخصًا، واعتقال ١٤٣٤، منذ الأحد الماضي عقب الاضطرابات.

وقد تعرض الإيجور للاضطهاد لفترة طويلة، وهم مهملون، ورفضت السلطات الصينية الحديث بشأن هذا الاضطهاد، واعتبرته مسألة داخلية تخص الصين وحدها!!

وللتعليق على الخبر نذكر عدة نقاط هامة:

أولاً- الشيوعية دين وعقيدة متغلغلة في كثير من البلدان مثل روسيا والصين وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا، وقد ذاق المسلمون الأمرَّيْنِ على أيدي الشيوعيين.

ففي روسيا أبادوا جيلًا مسلمًا في صحراء سيبيريا، وكانوا يعلقون على المشانق من يصلي ويقرأ في المصحف وينطق بالعربية، وتم تحويل المساجد إلى متاحف.

وفي بلغاريا تم تحويل وتغيير الأسماء الإسلامية؛ للقضاء على كل معالم الهوية الإسلامية.

ولم تقل الصين في تعاملها مع المسلمين عن روسيا في ممارسة كل صور الاضطهاد، وذلك منذ أيام ماوتس تونج، وشواين لاي. وتعد الصين من أسوأ بلدان العالم في انتهاك ما يُسمى بحقوق الإنسان.

ثانيًا- يقولون عن الجهاد الأفغاني إنه كان أول مسمار في نعش الاتحاد السوفيتي والشيوعية العالمية، وكان الاتحاد السوفيتي بمثابة القوة الثانية على مستوى العالم، وقد آل أمره إلى الانقسام والخراب والتسول.

وما من بلد دخلته لوثة الشيوعية والاشتراكية إلا ولحقه قدر من هذا الخراب، سواء في بلاد العرب أو العجم، وتم محاربة الإسلام فيه، ووُصِفَ المسلمون بالرجعية والتخلف والانتهازية وقوى الظلام، وكل نعوت التنفير على أيدي هؤلاء الشيوعيين، ومارسوا مع المسلمين أبشع صور التنكيل التي لا تكاد تخطر على بالٍ.

ثالثًا- حدث قدر من الانفتاح في الصين وروسيا وغيرها من البلدان الشيوعية مؤخرًا، ومقارنة بالماضي، بحيث سُمح بإنشاء بعض المساجد والصلاة فيها، وتعلم اللغة العربية، وقراءة القرآن، وهذا حسن بلا شك؛ فبعض الشر أهون من بعض.

ولكن ما زالت صور الصراع العقائدي بين الإيمان والكفر موجودة كصراع روسيا مع مسلمي الشيشان، واضطهاد المسلمين في «شينج يانج» بالصين، والبوسنة والهرسك في يوغسلافيا قبل ذلك.

رابعًا- ما أكثر العبارات المبتذلة، والمصطلحات المستخدمة والتي ينطبق عليها أنه: «ما احتج صاحب بدعة بدليل إلا كان في الدليل ما يرد عليه، ويدحض حجته».

كيف يصير المسلم إرهابيًا إذا دافع عن نفسه؟! وكأن المطلوب منه أن يمتنع من الهمس أو الصراخ حتى يتم الإجهاز عليه!! أي الفريقين أحق بالأمن، المسلم أم الكافر؟

ولماذا لم تمتنع الحكومة الصينية من اضطهاد المسلمين وتمكين الكفار من رقابهم؟ يمارسون الإرهاب الأسود -إرهاب الدولة- ثم يظهرون التخوف من الإرهاب الدولي، وهو المصطلح الذي استخدم إلى حد الابتذال، وشأنهم في ذلك شأن السارق الذي يجري، ويجري المسروق خلفه وكلاهما يقول: «حرامي»!!، وكاد المريب أن يقول خذوني.

يدمرون البلاد والعباد بالكفر والضلال، ويقمعون المسلمين، وينتهكون أعراضهم، ويقتلون الشيوخ الركع والأطفال الرضع، والبهائم الرتع، كل هذا الإجرام يفعلونه تحت لافتة الحرب على الإرهاب، كما صنعت أمريكا في العراق وأفغانستان، وكما يصنع اليهود في فلسطين، وأيضًا كما تصنع الحكومة الصينية مع المسلمين.

هل تنازلوا هم عن كفرهم وشيوعيتهم حتى يتنازل المسلم عن حقه ودينه؟ يخشون استخدام سكان «شينج يانج» للديانة المسلمة، فهل تركت الحكومة ديانتها الشيوعية؟!

ويتخوفون من التطرف، فمن الذي جعل الميزان بأيدي الشيوعيين الكافرين؟ وهل الخصم يصبح هو الحَكم والقاضي والجلاد؟

العدل أساس الملك، وبه قامت السموات والأرض، والحق وسط بين طرفين إفراط وتفريط، ولا سبيل لتحقيق العدل والحق إلا بإسلام الوجه لله -تعالى- والعمل بشريعته سبحانه وتعالى.

فالشيوعية قمة التطرف، وأيضًا فالاشتراكية والديمقراطية والقومية تطرف، وكذلك التبرج والاختلاط والعري والخلاعة تطرف.

خامسًا- أين الأمم المتحدة والاتحاد الأوربي وأمريكا وسائر الدول التي تتكلم بالحريات وحقوق الإنسان؟ أين هم من مآسي المسلمين في الشيشان وشينج يانج وأفغانستان والعراق؟

إنهم يقيمون الدنيا ولا يقعدونها من أجل اليهود والنصارى، فإذا تعلق الأمر بالمسلمين فهي سياسة الكيل بمكيالين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨]، ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧].

ولا يجوز الركون لأمثال هؤلاء الأعداء ولا تعليق الآمال عليهم في تخليص مسلمي الصين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١١٣]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ﴾ [آل عمران: ١١٨].

لا يجوز لكافر أن يتولى إمرة المسلم؛ فالإسلام يعلو ولا يُعلى عليه، ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١]، لا يفل الحديد إلا الحديد.

والاستقرار لا يأتي على حساب اضطهاد المسلمين وقهرهم والتحكم فيهم بشيوعية قذرة.

والواجب أن يعمل المسلمون لرفع هذا الظلم عن إخوانهم في الصين وفي شتى بقاع الأرض؛ فالمؤمن مرآة أخيه، ويحب لأخيه ما يحب لنفسه، ومثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر، والمؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم.

لقد شهد النبي ﷺ حلفًا في دار عبد الله بن جدعان في الجاهلية، وكان هذا الحلف لنصرة المظلوم قرَشِيًّا كان أو غير قرشِيّ، وقال النبي ﷺ: «**لو دعيت به في الإسلام لأجبت**»، فكيف يكون الحال مع المظلوم إذا كان مسلمًا صينيًا أو غير صيني؟

أبـي الإسـلام لا أب لـي سـواه ... إذا افتـخـروا بقيس أو تميم

إذا امتنعت الأمم المتحدة من التدخل لإعطاء السيادة للمسلمين في (شينج يانج) كما فعلت مع نصارى إندونيسيا، رددنا قوله تعالى: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩].

نحتاج لجهاد كبير لرد الحق لنصابه، وتوحيد كلمة المسلمين والأخذ بأسباب القوة، لابد من عودة صادقة إلى الله حتى نتمكن من رفع الظلم عن المظلومين، وإلا فقد هان أمرنا على أنفسنا وعلى عدو الله وعدونا، حتى استبيحت حرماتنا ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨].

ما يجري للمسلمين في الصين ليس شأنًا داخليًا، بل هو شأن المائة والخمسين مليون صيني كما هو شأن المسلمين في مصر وسوريا والعراق، فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، وخذلان قضايا المسلمين مظنة الخذلان في مواطن نحتاج فيه لنصرتنا؛ إذ الجزاء من جنس العمل.

اللهم اجبر كسرنا، وارحم ضعفنا، وأقل عثرتنا. اللهم ارحم موتانا، وداوِ جرحانا، وأهلك أعداءنا يا قوي يا عزيز.

اللهم دبِّر لنا فإنا لا نحسن التدبير، اللهم من أرادنا وأراد الإسلام والمسلمين بسوء فأشغله بنفسه، واجعل كيده في نحره، واجعل تدبيره تدميره يا سميع الدعاء.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

نحسبها شهيدة.. والله حسيبها.
فهل سنعلن الحرب على الإرهاب الغربي؟

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد .. فقد اتصل وزير العدل الألماني بالسفير المصري في برلين، وأعرب له عن انزعاجه الشديد لمقتل الدكتورة مروة الشربيني، وتلقي زوجها عدة طعنات على يد رجل ألماني، وقال: إنه على ما يبدو -وكما نشر في وسائل الإعلام الألمانية- فإن الجريمة ارتكبت على خلفية معاداة الأجانب!!

وقد أبدى البعض تخوفه من المناورات التي يحاول الجانب الألماني إغلاق القضية من خلالها بادعاء أن القاتل مختل عقليًا دون أن يتعرض إلى الإهمال الأمني في قاعة المحكمة أو التعصب ضد الحجاب والدين الإسلامي.

وذكروا عن القتيلة أنها كانت معروفة بالتدين والالتزام وخلوقة ترتدي الحجاب، وقد أخبرتها إحدى صديقاتها بالعمل أنها يجب أن تخلع الحجاب لوجود خطر على حياتها من ارتدائه، وأنها مستهدفة، ومن الممكن أن تفقد حياتها هي وأسرتها لتدينها.

وذكرت أمها أنها كانت حاملًا في الشهر الثالث، وأعربت عن رغبتها في الانتقام لابنتها وحفيدها الذي لم يُكمل عامه الرابع، وقالت: «عايزة آخد حق بنتي اللي راح دمها هدر».

وقد شيع جثمانها أكثر من ألفين حتى مطار برلين، وصلوا عليها صلاة الجنازة ظهر اليوم الاثنين ١٣ من رجب ١٤٣٠هـ بمسجد القائد إبراهيم بالإسكندرية، وكانت أعداد المصلين غفيرة.

وهذا الحدث المؤلم يستدعي عدة وقفات:

أولاً- هذا المصاب مصابنا جميعًا، وإنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي، وأخلف لي خيرًا منها.

وتعزيتنا لأهل أختنا المتوفاة ولزوجها «إن لله ما أعطى وله ما أخذ وكل شيء عنده بأجل مسمى، فلتصبروا ولتحتسبوا».

ونحن نحتسبها شهيدة عند الله ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠]، وما عند الله خير لها، وكل نفس ذائقة الموت، ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون.

ونحن لا محالة على القرب، فكل من فوق التراب تراب، وقد خاطب -سبحانه- نبيه ﷺ فقال: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠]، فهذا الإيمان يدفعنا لرد الحقوق لأصحابها، ومنهم القتيلة، وأن نقوم لله بحقه نصحًا وبيانًا.

ثانيًا- مع كل حادث يرتكب يصدعون رؤوسنا بالحديث عن مكافحة الإرهاب، ويشنون حملات الاعتقالات الواسعة لوأد الإرهاب والقضاء عليه.

وقد تصنف الدول بأنها راعية للإرهاب، ويتم مقاطعتها، بل وإعلان الحرب عليها؛ لأجل ذلك، كما فعل الأمريكان في العراق وأفغانستان. ويستخدم اليهود الذين اغتصبوا البلاد نفس المصطلحات وهم يقتلون الشيوخ الركع والبهائم الرتع والأطفال الرضع!!

أبادت أمريكا مليون طفل أثناء حصارها للعراق!! هكذا بدماء باردة في الوقت الذي بعثوا فيه بقطع من الأسطول السادس لعرض المحيط لنجدة كلب!!

ويبدو أن الدماء الأوربية الغربية لها قيمة وثمن يجعل الأمم المتحدة ينتصب لها، بينما الدماء المسلمة لا قيمة لها، تسيل أنهارها هدرًا فلا تكاد تسمع كلمة يتيمة عن حقوق الإنسان، فضلًا عن إعلان الحرب على الإرهاب الغربي.

وبكل برود يكتفي وزير العدل الألماني بإظهار انزعاجه للحادث، وبلا خجل يفصح بأن الجريمة ارتكبت على خلفية معاداة الأجانب!!

وأقصى ما وُصف به الجاني هنا وهناك أنه متطرف، فماذا لم يتجاسر أحد على وصفه بالإرهابي؟! وربما يصفونه غدًا بأنه مختل عقليًا، وبالتالي فلا عقوبة.

وهنا لابد من تذكر المصطلحات والسلوكيات تجاه الحوادث التي ترتكب مع المسلمين ومع غيرهم؛ فردود الأفعال تفترق كثيرًا، ولا يسعنا إلا أن نردد قول الله تعالى: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]، لا هوان بالدماء المسلمة على الله ولا على أولياء الله ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥-٣٦]، وللظالم قاتل لا يموت.

ثالثًا- ما الذي يقصدونه بـ«ضحية الحجاب»؟

إن كانوا يقصدون أن موتها بسبب التزامها وتدينها وحجابها، يثنون عليها بذلك، ويمتدحونها لأجله، وينشدون أن تقوم جميع النساء بهذه المهمة، وهذا الدور فلا بأس، وجزاهم الله خيرًا.

أما إن كانوا يقصدون أنها سلكت مسلك الاستفزاز بحجابها، وأن الحجاب والتدين والالتزام لا يستحق، وأنها ضحت بنفسها لغير قضية، فنسأل الله لهم الهداية، وعاملهم الله بما يستحقون.

وقد دعاني لهذه الوقفة، ولهذا السؤال تهور القوم في استخدام مصطلح الشهادة مع الشيوعي، واللاعب اللاهي، فهذا شهيد المبدأ، والثاني شهيد الكرة، بينما استخدموا هنا تعبير «ضحية الحجاب»!!

فلماذا بخلوا وضنوا على من ماتت في سبيل دينها والتزامها وحجابها، وكان أجدر بهم أن يحتسبوها شهيدة عند الله بدلًا من مصطلح «ضحية الحجاب» المبهم.

رابعًا- مات صلاح الدين الأيوبي وقطز وهارون الرشيد والمعتصم، ولم تمت الكلمات ولا المواقف، ومن قبل فقد انتقل خالد بن الوليد، والمقداد، وطلحة، والزبير، والصحابة الكرام إلى ربهم، بعد أن بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة، وجاهدوا في الله حق جهاده.

نشروا الإسلام في ربوع العالمين، وردوا الحق لنصابه، فتحوا الممالك، وأقاموا الحق في الخلق.

لقد تواطأ أهل مدين مع قدار بن سالف على قتل الناقة، فشملهم وعمهم العذاب من الله، قال سبحانه: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ [الشمس: ١٤- ١٥].

وسكتت عمورية على انتهاك عرض مسلمة، ففتحها المعتصم. ومات رجل فقال عمر رضي الله عنه: «لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم به»، والمؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم، ومثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر.

استهانة الغرب بدماء المسلمين عاقبته وخيمة، وتبريراتهم الساقطة في انتهاك أعراض ودماء المسلمين لن تشفع لهم، وتماديهم في الكفر والعتو والبغي سيعود عليهم وبالًا ودمارًا -بإذن الله- ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص: ٨٨].

ندرك الدوافع العقائدية لبغضهم الحجاب واللحية، وكل ما يمت للإسلام بصلة، وندرك أيضًا فشل ما يُسمى بحوار الحضارات، وحتمية التدافع بين الإيمان والكفر، والحق والباطل ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

ونقول للأم المكلومة في ابنتها: اصبري وأبشري؛ فالدماء المسلمة الطاهرة لا تضيع هدرًا، والحقوق لا تسقط بالتقادم ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣].

خامسًا- نصرتها واجبة وإن كان هناك تفريط وتقصير.

نتمنى الخير لأنفسنا وللناس جميعًا. ونعلم أن النجاة والسلامة في الرجوع لمثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، وأن النصر يتأخر بسبب المعاصي والبدع؛ ولذلك قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ما نزل بلاء إلا بذنب، وما رُفع إلا بتوبة، وكان البعض يقول: «معاصي بني أمية أضر عليهم من سيوف أعدائهم».

وقد رأينا كيف تحول النصر إلي هزيمة يوم أُحد بسبب مخالفة الرماة لأمر النبي ﷺ، وقد ذكر ربنا -جَلَّ وَعَلَا- هذا الأمر في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]. والعاقل يحذر هذه الأسباب ويتجنبها في خاصة نفسه وينصح الآخرين بتركها.

ولكن ماذا نصنع إذا داهم العدو الصهيوني بلدًا، أو داهم الروس الملاحدة أرض أفغانستان؟ هل نتركهم لوجود البدع والمعاصي في البعض؟

إن الواجب قتالهم مع كل أمير وطائفة أقرب إلي الإسلام منهم، وفي ذلك يقول ابن تيمية رحمه الله في (مجموع الفتاوى) [جـ٢٨، ص ٥٠٦] في أثناء حديثه عن التتار:

«وقتال هذا الضرب -أي الصنف- واجب بإجماع المسلمين، وما شك في ذلك من عرف دين الإسلام، وعرف حقيقة أمرهم، فإن هذا السلم الذي هم عليه ودين الإسلام لا يجتمعان، وإذا كان الأكراد والأعراب وغيرهم من أهل البوادي الذين لا يلتزمون شريعة الإسلام يجب قتالهم، وإن لم يتعد ضررهم إلى أهل الأمصار فكيف بهؤلاء؟!».

نعم يجب أن يسلك في قتاله المسلك الشرعي، من دعائهم إلي التزام شرائع الإسلام، إن لم تكن الدعوة إلى الشرائع قد بلغتهم، كما كان الكافر الحربي يُدعى أولًا إلى الشهادتين، إن لم تكن الدعوة قد بلغته.

فإن اتفق من يقاتلهم على الوجه الكامل فهو الغاية في رضوان الله، وإعزاز كلمته، وإقامة دينه وطاعة رسوله، وإن كان فيهم من فيه فجور وفساد نية بأنه يكون يقاتل على الرياسة أو يتعدى عليهم في بعض الأمور، وكانت مفسدة ترك قتالهم أعظم على الدين من مفسدة قتالهم على هذا الوجه كان الواجب أيضًا قتالهم دفعًا لأعظم المفسدتين بالتزام أدناهما، فإن هذا من أصول الإسلام التي ينبغي مراعاتها.

ولهذا كان من أصول أهل السُّنة والجماعة الغزو مع كل بر وفاجر، فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، وبأقوام لا خلاق لهم، كما أخبر بذلك النبي ﷺ؛ لأنه إذا لم يتفق الغزو إلا مع الأمراء الفجار، أو مع عسكر كثير الفجور. فإنه لابد من أحد أمرين: إما ترك الغزو معهم فيلزم من ذلك استيلاء الآخرين الذين هم أعظم ضررًا في الدين والدنيا وإقامة أكثر شرائع الإسلام، وإن لم يمكن إقامة جميعها فهذا هو الواجب في هذه الصورة وكل ما أشبهها، بل كثير من الغزو الحاصل بعد الخلفاء الراشدين لم يقع إلا على هذا الوجه. وثبت عن النبي ﷺ: «**الخيل معقود في نواصيها الخير إلي يوم القيامة: الأجر والمغنم**» فهذا الحديث الصحيح يدل على معنى ما رواه أبو داود في سننه من قوله ﷺ: «**الغزو ماضٍ منذ بعثني الله إلي أن يقاتل آخر أمتي الدجال، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل**»، وما استفاض عنه ﷺ أنه قال: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم إلي يوم القيامة**» إلى غير ذلك من النصوص التي اتفق أهل السُّنة والجماعة من جميع الطوائف على العمل بها في جهاد من يستحق الجهاد مع الأمراء، أبرارهم وفجارهم، بخلاف الرافضة والخوارج الخارجين عن السُّنة والجماعة.

هذا مع إخباره ﷺ بأنه: «**سيلي أمراء ظلمة خونة فجرة، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم فليس مني ولست منه ولا يرد علي الحوض، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه، وسيرد على الحوض**».

فإذا أحاط المرء علمًا بما أمر به النبي ﷺ من الجهاد الذي يقوم به الأمراء إلي يوم القيامة، وبما نهي عنه من إعانة الظلمة على ظلمهم: علم أن الطريقة الوسطي التي هي دين الإسلام المحض جهاد من يستحق الجهاد، كهؤلاء القوم المسئول عنهم، مع كل أمير وطائفة هي أولي بالإسلام منهم، إذا لم يمكن جهادهم إلا كذلك، واجتناب إعانة الطائفة التي يغزو معها على شيء من معاصي الله، بل يطيعهم في طاعة الله، ولا يطيعهم في معصية الله إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وهـذه طريقة خيار هـذه الأمة قديمًا وحديثًا، وهي واجبة على كل مكلف، وهي متوسطة بين طريق الحرورية وأمثالهم ممن يسلك مسلك الورع الفاسد الناشئ عن قلة العلم، وبين طريقة المرجئة وأمثالهم ممن يسلك مسلك طاعة الأمراء مطلقًا وإن لم يكونوا أبرارًا.

ونسأل الله أن يوفقنا وإخواننا المسلمين لما يحبه ويرضاه من القول والعمل. والله أعلم.اهـ

اللهم اغفر لأختنا مروة ،وارفع درجتها في المهديين ،واخلفها في عقبها في الغابرين، واغفر لنا ولها يا رب العالمين .اللهم وسع لها في قبرها ونوِّر لها فيه.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

اعتراض الرئيس الفرنسي على النقاب

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد ..

فقد تناقلت وسائل الإعلام وصفَ الرئيس الفرنسي النقاب بأنه أمر بالاستعباد، ويتنافى مع كرامة المرأة، مما أثار استياء المسلمين وبعض الدوائر هنا وهناك، وها نحن ننقل الخبر وتعليقات البعض عليه:

في تصريحات وصفت بالاستفزازية للمسلمين، أعلن الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي في خطاب ألقاه أمام البرلمان الفرنسي في ٢٢ يونيو / حزيران أن «النقاب» الذي يغطي المرأة من رأسها إلى أخمص قدميها يشكل «علامة استعباد» للمرأة.

ولم يكتف بما سبق، بل إنه زاد في إهانة المسلمين، قائلا: «النقاب ليس رمزًا دينيًا، وإنما رمز استعباد للمرأة، وأريد أن أؤكد علنًا أن البرقع غير مرحب به في أراضي الجمهورية الفرنسية، الحجاب الإسلامي لا يزال محظورًا في المدارس الحكومية الفرنسية».

وأيضًا: «لا يمكن أن نقبل في بلادنا نساء سجينات خلف سياج ومعزولات عن أي حياة اجتماعية ومحرومات من الكرامة، هذه ليست الرؤية التي تتبناها الجمهورية الفرنسية بالنسبة لكرامة المرأة».

تصريحات ساركوزي تتناقض مع القرار الذي أصدره مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة في ٢٨ مايو ٢٠٠٨، وانتقد خلاله القانون الفرنسي الذي يقضي بحظر ارتداء الزي الديني في المدارس بما فيه الحجاب الإسلامي.

وكانت الجمعية الوطنية الفرنسية أصدرت تشريعًا في عام ٢٠٠٤م يمنع الفتيات من ارتداء الحجاب في المدارس. وجاء هذا القانون بعد مناقشات ومعارك طويلة في الساحة الداخلية الفرنسية بشأن الموقف من غطاء رأس التلميذات المسلمات «الحجاب»، والذي يعتبر أمرًا وتكليفًا شرعيًا وليس رمزًا دينيًا كما قال المشرعون الفرنسيون.

أيضًا فإن ساركوزي الذي عرف عنه جذوره اليهودية، طالما حاول إثبات ولائه لإسرائيل سواء بالتصريحات التي تغنى وتمجد فيها على الملأ أو بالوثائق السرية التي تفضح تعاونه مع الموساد.

ففي تصريحات أدلى بها في ٢٣أكتوبر ٢٠٠٨، أعلن ساركوزي أنه يعتبر تأسيس إسرائيل «معجزة القرن العشرين»، كما أعلن مساندته لإسرائيل في مواجهة إيران، مؤكدًا أن أمن إسرائيل «خطًا أحمر» لا يقبل تجاوزه.

المفاجأة التي فجرتها صحيفة «لوفيجارو» الفرنسية في منتصف أكتوبر ٢٠٠٨م، وكشفت فيها أنه حينما أرادت إسرائيل اختراق حزب «الاتحاد من أجل حركة شعبية» الحاكم في فرنسا، كان ساركوزي من أبرز الأشخاص الذين نجح الموساد في تجنيدهم.

فإن الشرطة الفرنسية فتحت مؤخرا تحقيقًا حول رسالة غريبة تم إرسالها بالبريد الالكتروني في شهر مارس ٢٠٠٨م لأكثر من ١٠٠ مسئول كبير في الشرطة الفرنسية جاء فيها أن ساركوزى كان عميلًا للموساد الإسرائيلي.

وتؤكد التقارير أن «مناحم بيجن» الذي أعطى تعليماته عام ١٩٧٨م للاستخبارات الخارجية الإسرائيلية «الموساد» لاختراق الحزب الحاكم في فرنسا لتحويله إلي حليف لإسرائيل.

وفي عام ١٩٨٣م نجح «باتريك بالكاني» في تجنيد شاب واعد هو نيكولا ساركوزى.

ليس غريبًا:

١- ليس غريبًا على عميل الموساد قول ذلك.

٢- ليس غريبًا على زوج عارضة أزياء صورها العارية في كل مكان.

٣- ليس غريبًا بعد ظهور مسلمات في بلاد المسلمين كاسيات عاريات ويشار إليهن بالبنان.

أيها الساركوزي لأنك تزوجت من عشيقتك بالحرام باسم الحقوق الأساسية للمرأة فتريد أن تعيش النساء كعشيقات وليس كنساء لهن كرامة لا تكشف عن جسدها إلا لمن أحلها الله له، حسبنا الله ونِعْم الوكيل.

واشنطن: انتقدت صحيفة «كريستيان سابنس» الأمريكية ما أسمته بتحامل الرئيس نيكولا ساركوزي على جزئية من ملابس النساء المسلمات في البلاد، والمتمثلة في الهجوم الذي شنه من قصر فرساي ضد «النقاب»، وتساءلت عما إذا كان ينبغي حظر «النقاب» أم حظر مثل ذلك الحظر؟

وفي حين قالت الصحيفة: إن تعداد المسلمين في فرنسا يقرب من خمسة ملايين، وأشارت إلى قرابة مائة ألف امرأة مسلمة فقط يرتدين «النقاب»، مضيفة أن النساء اللواتي لا يرتدينه شعرن بالغضب أيضًا إزاء تصريح ساركوزي بدعوى أن الحظر الذي فرضه الرئيس الفرنسي يهدد الحرية الدينية.

وجاءت تصريحات الرئيس الفرنسي بعد أن أبدى برلمانيون فرنسيون الخميس الماضي قلقهم البالغ من تزايد أعداد النساء المسلمات الذين يرتدين النقاب في فرنسا.

وكانت فرنسا في عام ٢٠٠٤م وباسم النظام العلماني، قد قامت بمنع الطلاب في المدارس الفرنسية من ارتداء أي رموز دينية بموجب قانون رآه البعض استهدافًا للحجاب الإسلامي على الأخص.

ومن الجدير بالذكر أن الرئيس الفرنسي قد كشف عن أن العلمانية ما هي إلا قناع زائف لمحاربة الإسلام، وذلك عندما سئل عن أسباب رفضه انضمام تركيا لأوروبا، فأجاب قائلًا: «لأن تركيا وأوربا وإن كانت علمانية إلا أنها ذات هوية مسيحية».

وتثير قضية ارتداء الحجاب جدلًا واسعًا ليس فقط في المجتمع الفرنسي، بل في دول غربية أخرى مثل كندا وألمانيا وبلجيكا التي منع الحجاب في ٩٠٪ من مدارسها.

قرر أعضاء البرلمان في الجمعية الوطنية إنشاء لجنة لبحث مسألة انتشار «ارتداء النقاب»، وأعلنت صحيفة «الحياة» الصادرة في لندن أن «الفرنسيون يحاولون التضييق على المسلمين وتطفيشهم من العيش في فرنسا ولكن بطرق ملتوية وقبيحة».

واعتبر أنه لا يوجد أي سبب «يخول للفرنسيين مصادرة حرية النساء المسلمات بارتداء زيهن، وما تقوم به فرنسا اليوم تعسف وقمع باسم الحرية والدفاع عن حقوق المرأة وكرامتها»، وتساءل «الشريان»: «ماذا سيكون رد فعل الفرنسيين والأوروبيين لو أن دولة إسلامية قامت بمنع النساء الغربيات من كشف رؤوسهن ووجوههن واعتبرت أن هذا ضد عفة المرأة».

ما هو غير المحتشم أو المسيء للأخلاق العامة النقاب أم البكيني؟

وجاء في رسائل الكترونية أرسلها قراء إلى الصحيفة: أن النقاب «رمز للحرية»، وأن ثقافة «العُري» هي المذلة للمرأة.

والذي وعدنا بأنه سيحرر نساء العالم وخاصة المسلمات، ويخلصهن من الاضطهاد حسب زعمه، تنشر بعض الصحف غسيله الوَسِخَ، وتعلن لنا أنه لا ينفك عن ضرب زوجته ضربًا مبرحًا، الشيء الذي جعلها تهرب مع خليلها اليهودي إلى المغرب، فقام بإرجاعها بالقوة البوليسية وواصل ضربها وإهانتها.

ملحوظة: كتب محرر مجلة «الفيغارو» عن هذا الخبر فتم طرده من هذه المجلة في الحال (في فرنسا بلاد الحرية)!!

وأضيف هنا بعض التعليقات من جانبنا:

أولاً- يكثر الكلام على دوافع السلوك والتصرف، ويقول البعض: السلوك مرآة الفكر، وقد ظهرت مدارس تحليلية ترد السلوكيات إلى جذورها وأصولها، والبحث في أسباب جرأة الرئيس الفرنسي قد يُفسر ويُجاب عليه بالكفر والعداء للإسلام والمسلمين وطبيعة النشأة والعمل، وكل إناء بما فيه ينضح.

واقترانه بعارضة الأزياء على النحو المذكور مع انطماس الفطرة، لا يستبعد معه اعتراضه على النقاب، فكل قرين بقرينه يقتدي.

والأمم المتحدة وغيرها جهات مشبوهة، والحريات والديمقراطيات أشبه بصنم العجوة الذي يصنعه الكافر فإذا جاع أكله، وسياسة الكيل بمكيالين لا تخفى على أحد.

العُري والخلاعة والتبرج والاختلاط يُسمح بها ويطلقون عليه وصف الحرية الشخصية التي لا تُمس، أما الاحتشام والنقاب فهو استعباد وإهدار لكرامة المرأة لابد من مصادرته ومنعه!! والحريات لا تصل لحد ارتداء النقاب!!

وقد أغرى الرئيس الفرنسي وغيره الهجوم الشرس على النقاب ممن هو من جلدتنا وممن يتكلمون بلساننا، وطمأنينته أنه لن يردعه رادع ممن يتولون أمور المسلمين، وإذا كان شياطين الجن يغتاظون إذا أطيع الله في الأرض، فكذلك الأمر بالنسبة لشياطين الإنس، تضيق صدورهم بأي طاعة تُذكر بالله وبدينه -سبحانه-.

ثانيًا- الهدي الظاهر كاللحية والحجاب له النصيب الأكبر والحظ الأوفر من مهاجمة أعداء الإسلام والمسلمين؛ وذلك لأنه يعبر عن حب المسلمين لدينهم، وعودة هذا الأمة إلى الله عودًا حميدًا.

لقد توهم الأعداء أن الأمة قد انتهى أمرها فإذا بها تستيقظ من جديد، وقد يسكت هؤلاء الأعداء عن صلاة الإنسان في بيته وصيامه فيما بينه وبين ربه، أما أن يُطلق لحية أو يقصر ثوبًا على جهة التدين أو تتحجب امرأة فلا نتعجب إذا قامت الدنيا ولم تقعد.

بل نفس هذه الظواهر لو تمت متابعة للموضة لصفقوا لها واعتبروها حرية شخصية ومن علامات التطور والتحضر والتقدم!!

وهل سمعنا لهم صوتًا عندما ظهر الهيبز والخنافس وارتدى الشباب البرمودا؟!

وقد تزايدت أعداء الملتحين والمنقبات في أوروبا وأمريكا، وهي ظواهر تعبر عن الإسلام الذي يحاربونه تحت مسمى محاربة الإسلام والأصولية، وإذا تمت المحاربة والمهاجمة على يد من ينتسب إلى الإسلام فكيف بالكفار الأصليين؟!!

قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦]، وقال: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وقال: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

ثالثًا- الاختلاف حول مشروعية تغطية الوجه والكفين بين المسلمين شيء، وانتقاص الرئيس الفرنسي -ومن على شاكلته- شيء آخر.

قد نختلف في تغطية الوجه والكفين مع وقوفنا على نفس الأرضية ورجوعنا لمنهج واحد، منهج الكتاب والسُّنَّة، أنت ترى استحبابه، وأنا أرى وجوبه، وهذا خلاف لا يفسد للود قضية، ونحن في ذلك مسبوقين بمن تقدمنا من العلماء، وكل إنسان يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ. والقائل بهذا القول وبغيره يعظم حرمات الله ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠].

والمسلم يعتقد أن الاستهزاء بشعيرة من شعائر الإسلام كفر، وكذلك الاستخفاف بحكمة التشريع كفر، وهذه المسألة يجب الانتباه لها، والتفريق الواضح بين تناول المسلمين لقضية النقاب وتناول الرئيس الفرنسي لها، فهذا الرئيس لا يؤمن بالإسلام دينًا ولا بمحمد ﷺ نبيًا، والبغض للنقاب والاحتقار ومعاني الغطرسة بادية وواضحة.

ويقترب من تناوله لهذه المسائل ما يفعله الجهال والزنادقة والديمقراطيون والليبراليون عندنا، فهم يتكلمون عن اللحية والنقاب بوقاحة وجرأة، وأحيانًا يسلكون مسالك التدرج في الغواية فيطالبون المرأة بكشف الوجه أولًا، ثم رويدًا رويدًا يطالبون بحريتها في ارتداء ملابس البحر على الشواطئ.

فوجب الحذر؛ إذ أن سُلم التنازلات لا يقف بصاحبه عند حد، وسرعان ما يهوي الإنسان من القمة إلى السفح، ومعظم النار من مستصغر الشرر، ومن قرأ قصة الشيطان مع برصيصًا العابد يعظم ذلك.

وبينما يسلك الإنجليز مسلك الخطوة خطوة، ويقولون بطيء ولكن أكيد المفعول، فالفرنسيون تغلب عليهم الحماقة والتهور.

رابعًا- الحرية الحقيقة تُصاغ في قالب العبودية لله -جَلَّ وَعَلَا-، فإذا انسلخ الإنسان من العبودية لله صار عبدًا للشيطان ولهواه، قال تعالى عن نبيه إبراهيم: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا﴾ [مريم: ٤٤- ٤٥]، وقال تعالى: ﴿أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا ٤٣ أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣-٤٤]، وقال ﷺ: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ مُنِعَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلا انْتَقَشَ**» [رواه الطبراني في المعجم، وأصله في البخاري].

يرفع الناس رايات الحرية ويطالبون بها، ويجددون شعاراتها وهم أسرى العبودية المقيتة، عبودية العباد للعباد، و لذلك قال ربعي بن عامر لرستم قائد الفرس لما سأله من بعثكم، فقال ربعي: «ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام».

أين حرية من تقبَّل تشريعَ البشر، ويزعم أن الدماء الزرقاء تجري في عروق الخلق، ويصير غدًا للنساء (رغبة ورهبة) فيجتمع فيه تمام الحب مع كمال الخضوع والذل؟!

لقد حفظ الإسلام للمرأة كرامتها، ولا يمكن أن يكون الرئيس الفرنسي أحرص على المرأة وأحفظ لكرامتها من خالقها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، هذه الكرامة لا تتحقق إلا في ظلال الإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات: ١٣].

قال حاتم الأصم: رأيت الناس يعودون إلى التجارات والحرف والصناع والأنساب، ونظرت في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، قال: فعملت بالتقوى حتى أكون كريمًا عنده.

إن السجن خلف سياج الحجاب (كما يصفه ساركوزي) أهون وأخف بكثير من السجن خلف سياج الهوى والابتذال والانحطاط، وأن تصير المرأة سلعة رخيصة، أو قل سجن الحجاب أيسر من السجن في نيران الجحيم ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨].

خامسًا- نقول للرئيس الفرنسي: أبشر بما يسوؤك، فلله أوسٌ آخرون وخزرج، فإن عدمنا أمثالهم وأشباههم فلن نعدم أمثال هارون الرشيد وصلاح الدين الأيوبي والمعتصم، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

فللظالم قاتل لا يموت، والمستقبل للإسلام بغلبته وظهوره، وستنتصر الأمة -بإذن الله- على الغرب، وستفتح روما كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ.

أرفق به وبقومه أن يُسلموا وجوههم لله تعالى، من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله.

وأرفق بمن يقيم بفرنسا وغيرها أن يُظهر شعائر إسلامه ودينه، فإن لم يستطع انتقل إلى مكان آخر؛ فدين الإنسان هو أغلى ما يملك، وقد كان الإمام أحمد يفسّق من سافر لبلاد الهند للتجارة إلا للقادر على إظهار شعائر إسلامه، وقال رَحِمَهُ اللَّهُ يهاجر الإنسان من الأرض التي يُسب فيها السلف، فإن غلب مثل ذلك على الأرض فليتق الله قدر استطاعته، و ليخرج من الواقع السيئ ما وسعه الأمر، والواجبات تسقط بالعذر والعجز وعدم الاستطاعة.

سادسًا- ذكر بعض الطيبين في معرض رده على ما فعله الرئيس الفرنسي: أننا لو منعنا الفرنسيات من العُري والخلاعة في بلادنا لاعترضوا علينا بأن هـذا يُعد تدخل منا في الحريات الشخصية.... وبلا ريب فهذا واقع.

ولمزيد من توضيح هذا الكلام نقول:

الواجب علينا أن نمنعهم من التبرج والعُري والاختلاط، قبلوا ذلك أو رفضوه، فالخلافة موضوعة لإقامة الإسلام وسياسة الدنيا به، ونحن لا نرضي الناس بسخط الله، ولا يقاس التبرج والاختلاط بالنقاب والاحتشام، كما لا يقاس الخمر على الماء، وليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأصابه.

وتعبير المعاملة بالمثل هنا غير دقيق، فنحن عندما نعبد الله، وتستر المرأة وجهها وكفيها وندلهم على طريق الله، ونلزمهم الحجاب الشرعي، فهذا لا يماثل بحال إلزامهم لنا بخلع الحجاب وفرضهم الديمقراطية علينا وقهرهم لنا بقبول العُراة، فلا يصح التفريق بين المتماثلين ولا التسوية بين المختلفين ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥ - ٣٦].

اللهم انصر دينك وكتابك وسُنَّة نبيك وعبادك الصالحين.

وآخِرُ دَعْوَانا أَنِ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِين